دور منطقة مليانة في مقاومة الأمير عبد القادر (1835 – 1842م)

أ/ رزيقة محمدي
جامعة لونيسي علي –البليدة - 2 -

الملخّص :

اتخذ الأمير عبد القادر من منطقة مليانة حصنا له ولمقاومته وكان ذلك سنة 1835م ، فعيّن عليها خليفته "الشيخ محي الدين بن المبارك" في الفترة الممتدة ما بين (1835–1837م) . هذا الأخير الذي كان يقاوم في صفوف "ابن زعموم" "والشيخ سيدي السعدي" بمتيجة . وبعد وفاته عيّن مكانه الأمير "محمد بن علال بن مبارك" الذي بقي خليفة عليها إلى أن استشهد بالغرب الجزائري سنة 1843م .

أنشأ الأمير عبد القادر بمنطقة مليانة منشآت حربية نذكر منها: مصنع الأسلحة منها البنادق، الرماح، و كانت المادة الأولية تستخرج من منجم زكّار، و كان يسير هذا المصنع بعض الأسرى الفرنسيين . وظلت منطقة عين الدفلى بأكملها مستقلة ولم يتم غزوها من قبل الفرنسيين إلا في 08–06–1840 م حيث قاد الماريشال "فالي" حملة عسكرية ، غير أنه قوبل بمقاومة شعبية عنيفة شاركت فيها كل قبائل المنطقة تحت قيادة "محمد بن علال" وألحقت بالجيوش الفرنسية خسائر معتبرة في الأرواح و العتاد وهذا باعتراف القائد الفرنسي "كاستيلا " الذي قال : « تلقى الجيش الفرنسي أشد الخسائر أكثر من أي حملة فرنسية في بلاد إفريقيا» .

وفي سنة 1841م قاد الجنرال "بيجو" بنفسه حملة عسكرية على منطقة مليانة، وكان الأمير بصحبة خليفته "محمد بن علال" قد أعد العُدة لصد هذا الهجوم، حيث تمكنت قواته النظامية والشعبية من التصدي لهذا الهجوم و إلحاق هزيمة نكراء بالجنرال "بيجو" وعساكره وقد وصف "رُوا" وهو أحد قادة العدو هذه الواقعة فقال: «وهذه أول هزيمة وقعت بالماريشال "بيجو" منذ ولايته على الجزائر».

Résumé:

L'Emir Abdelkader a pris la zone de Méliana comme une fortification pour son combat et cela en 1835, il l'a assigné à Cheikh "Mehyeddine Mbarek" de (1835–1837) et ce dernier combattait dans le rang de "Ibn Zaàmoum " et "Cheikh Sidi Saàdi" à Mitidja. Et après son décès, on a assigné à sa place '' l'Emir Mohamed ben Allal ben Mbarek qui y est resté jusqu'à son décès a l'Ouest de l'Algérie en 1843.

L'Emir Abdelkader a érigé dans la zone de ''Méliana '' des institutions militaires citant : l'usine des armes comme les fusils, les javelots et la matière première et extraite de la mine de ''Zakar''et cette usine était gérée par quelques prisonniers français .

La zone de ''Aine Defla '' est restée indépendante et elle n'a été conquèrie par les français qu' en 08/06/1840 par le maréchal '' vallée' qui a mené une expédition militaire mais il a été confronté à un Combat populaire très pénible ou plusieurs tribus de cette zone guidées par "Mohamed ben Allal"y ont participé et ils ont entrainé de considérables dégâts , humaines et matériels , chez l'armée française et cela par la reconnaissance du chef français " Kastela" qui a avoué ceci : « l'Armée française a subi l'une des plus grandes pertes plus que toute autre expédition française dans le pays d'Afrique. »

Et en 1841, le général "Bugeaud " a mené personnellement une expédition militaire sur la zone de Méliana , mais l'Emir Abdelkader en compagnie de son successeur " Mohamed ben Allal " s'est bien préparé pour faire face a cette attaque , il a bien réussi avec ses groupes populaires armées a combattre cette attaque et porter une grande défaite au général " Bugeaud" et ses militaires. l'un d'eux "Roua "a décrit ce combat en disant : « Ceci est la première défaite qui s'est produite au maréchal Bugeaud depuis son gouvernement sur l' Algérie »

المقدمة :

كرست معاهدتي ديميشال سنة 1834م والتافنة سنة 1837م السلطة الفعلية لعبد القادر والاعتراف بلقبه كأمير ، كما سمحتا له بتوسيع نفوذه خارج مقاطعتي وهران والجزائر وضم أنحاء أخرى من الوطن إلى دولته . منها منطقة مليانة التي كان يدرك الفرنسيون بأهمية موقعها الاستراتيجي لكونها همزه وصل بين العاصمة ومدن الغرب الجزائري مثل : تلمسان ، مستغانم ووهران .

والحديث عن منطقة مليانة ودورها في مقاومة الأمير عبد القادر يدفعنا لطرح مجموعة من الإشكاليات أبرزها : ماهي الأسباب التي دفعت بالأمير للدخول إلى منطقة مليانة وجعلها حصنا من حصونه المنيعة ؟ هل وجد الأمير في سكان المنطقة الدعم والسند المرجوان لمواجهة العدو؟ كم دامت الفترة الزمنية لتواجد الأمير في المنطقة ؟ متى وكيف استطاعت القوات الفرنسية الوصول إلى المنطقة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها حاولنا جمع ما تيسر من المادة المتوفرة حول الموضوع ، كما نأمل أن تكون هذه الورقة العلمية البسيطة انطلاقة لباحثينا وطلبتنا للبحث والتوسع أكثر في الموضوع وكذا غايتنا الإحالة إلى بيبليوغرافيا بسيطة وأولية .

◄1 – نبذة تاريخية عن مدينة مليانة:

تقع مليانة في منطقة مرتفعة تبعد عن مدينة الشلف (الأصنام سابقا) بمسافة 99 كلم وهن العاصمة ب 120 كلم . تبلغ مساحتها 23773 هكتار . ويحيط بها مجموعة من الجبال ، كجبال زكار الشرقي والغربي التي تطل على المدينة . يبلغ اعلي ارتفاع فيهما 1579م . أما في الجنوب فيربطهما مضيق صغير . أما من الناحية الشرقية والجنوبية فتطل على وادي الشلف .

ا تكتسي المنطقة أهمية فلاحية بالدرجة الأولى وأهمية اقتصادية بالدرجة الثانية ، تحتوي على سوق كبير ومناجم وبها ضريح الولي الصالح سيدي احمد بن يوسف الملياني [1] .

اختلف المؤرخون والجغرافيون من مسلمين وغربيين في تسمية المدينة ، فقد سماها المؤرخ الفرنسي مارمول "**مليان**" " **Miliane** وقال انها كانت تسمى **منيانة** " **Magnana**" أما الانجليزي "**شاو**" في كتابه فيقول **منيانة** " " **Maniana**" "**ومليانة** " [2] "**Maliana**) .

أما ياقوت الحموي في معجم البلدان يقول :

« مليانة بالكسر ثم السكون وباء تحتها نقطتان خفيفة وبعد الألف نون ، وهي مدينة في آخر افريقية بينها وبين تنس أربعة أيام» [3].

◄ 2 – مليانة في عهد الأمير عبد القادر[4] :

◆ أ/ دولة الأمير بمليانة :

استطاع الأمير في الفترة الممتدة ما بين (1832 1837–م) وهي الفترة التي يطلق عليها غالبية المؤرخين والكتاب بفترة القوة في تاريخ مقاومة الأمير من بسط نفوذه على مناطق كثيرة فبعدما كانت أربعة أقاليم أصبحت بعد معاهدة ''**التافنة**" [5] ثمانية أقاليم(مقاطعات) [6] . وقد عين الأمير على رأس كل إقليم خليفة [7] .

ومن هذه الأقاليم التي تهمنا ونحن في صدد تحضير هذه الورقة العلمية حولها هو إقليم **مليانة** حيث استطاع الأمير أن يبسط نفوذه عليها منذ سنة 1835م أي بعد معاهدة "**ديميشال**" [8] في فيفري 1834م ، ودخلها بناءا على طلب سكانها . على شرط معاملتهم كمواطنين في دولته ، قصد التضحية من اجل الدين والوقوف في صفوف قواته

لمحاربة أعدائه [9].

وبعد استتباب الأمن فيها عيّن عليها خليفته **"الشيخ محي الدين مبارك"** في الفترة الممتدة ما بين (1835-1837م) لإدارة شؤونها [10] . هذا الأخير الذي كان يقاوم في صفوف **"ابن زعموم"**[11] **"والشيخ سيدي السعدي"** [12] بمتيجة . وبعد وفاته عين مكانه الأمير **''محمد بن علال بن مبارك"** [13] الذي بقي خليفة عليها إلى أن استشهد بالغرب الجزائري سنة 1843م [14] .

- **إستراتيجيته العسكرية :**

حاول الأمير أن يجعل من منطقة مليانة حصنا منيعا انطلاقا من إستراتيجية عسكرية محكمة . ولتحقيق ذلك اتخذ مجموعة من التدابير تمثلت في :

◆ **أ/ الجيش :**

بعد احتكاك الأمير بالقوات الفرنسية أثناء المعارك رأى انه من الضروري إيجاد جيش نظامي يكون تحت تصرفه الدائم ، لأنه اقتنع أن الجيش غير النظامي لا يمكن الاعتماد عليه بالدرجة الأولى[15] .

لذلك قام بعد عقد معاهدة ''دي ميشال'' سنة 1834 م بعقد مجلس جمع فيه رجال دولته وزعماء القبائل . وتم الاتفاق فيه على ضرورة تنظيم الجيش ، وبهذا اصدر إعلانا جاء فيه: « ليبلغ الشاهد الغائب انه اصدر مولانا ناصر الدين بتجنيدي الأجناد وتنظمي العساكر من كافة البلاد ، فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الإمارة – معسكر – ليتقيد اسمه في الدفاتير الأميرية »[16].

أ/1 تنظيمه :

* **الجيش النظامي** [17] : مصنف كالأتي :

- المشاة (العسكر المحمدي)
- الفرسان
- المدفعيون
- الحرس الأميري
- جهاز الطب العسكري
- جهاز الطنبور والموسيقى

* **الجيش غير النظامي :**

كان الأمير يعتمد بالإضافة إلى الجيش النظامي في حربه على جيش ثاني غير نظامي ، تتكون معظم عناصره من القبائل المؤيدة للأمير والموزعة حسب المقاطعات الإدارية للدولة [18] .

كانت الاحصائات التي ترد من طرف المؤرخين الذين عايشوا فترة الأمير أن قوات جيشه (النظامي وغير النظامي) كانت في تزايد مستمر.

فالأرقام التي بحوزتنا تشير إلى أن قوات الأمير بمليانة وبالضبط في عهد الخليفة **"محمد بن علال"** وصلت أواخر سنة 1839م إلى 10440 بين فرسان ومشاة ورماة المدافع وهي مقسمة كالآتي[19]

وحتى يضمن الأمير تموين جيشه احدث ضريبة خاصة بالجيش ، عرفت **"بالمعونة"** وهي تقوم على تضامن أفراد الرعية. وذلك بعد أن ضعف دخل

فرسان		مشاة		سدنة المدفعية -الطوبجية-	المجموع
نظاميون	غير نظاميون	نظاميون	غير نظاميون		
200	5000	1200	4000	40	10440

الخزينة من الضرائب الشرعية (العشور والزكاة) بفعل تزايد الضغط العسكري الفرنسي منذ سنة 1839 م [20] .

◆ ب/ الأسلحة :

لا نستطيع تصور جيش بدون سلاح لذلك أولى الأمير الاهتمام بكل ما أوتي من إمكانيات محلية وخارجية لمواجهة العدو .

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير كان مدركا أهمية ما حققته أوربا آنذاك من تقدم علمي ونهضة صناعية . مؤمنا بضرورة الأخذ بالحضارة الحديثة في الجوانب المادية . فقد استعان بالاختصاصيين الأجانب في ميادين عديدة.

وهذا ما تؤكده رسالة خليفته "**بن علال**" إلى الماريشال "**فالي**" يدعوه فيها أن يرسل له هذا الأخير عمال ومختصين أوربيين في السلاح إلى مليانة : » **... وثانيا أردنا منك أن تبعث لنا المعلمين عاجلا ولولا تسريحهم لنا من العمالة الفرنصاوية لم نصرف عليهم ، وان كانت عليهم تكاليف تتحمل أنت بها** . «[21] .

ومن بين الأوربيين الأجانب الذين كانوا في مليانة ، نذكر على سبيل المثال المهندس المختص في صناعة المعادن "**دي كاس**" **De Casse** الذي انشأ في مدينة مليانة مصنعا للبنادق وآخر لإنتاج البارود [22]. وهناك معلومات تقول عنه انه حاول أن يصنع صواريخ ، لكنه لم يوفق في معادلته الرياضية [23] .

أما الحديد فكان يتم إحضاره من منجم "**زكار**" بالقرب من مليانة ، وكانت مناجم ملح البارود، الكبريت الحديد والنحاس محل عمل متواصل . كما تميزت المنطقة بصناعة البارود [24] والمدافع [25] .

وقد اعتمد الأمير في تموين جيشه بالأسلحة والذخيرة على :

- الأسلحة المتحصل عليها من العدو عن طريق الغنائم أو من الجنود الفارين .
- شراؤها من عند الأهالي خاصة البنادق الفرنسية ، حيث طالب الأمير " كل من يمتلك بارودة فرنسية أن يبيعها إلى الدولة بمبلغ جنيهين انجليزيين ، ثم هو يحصل لنفسه على بندقية محلية الصنع أو بطرقه الخاصة من الأسواق " [26] .
- شراءها من تونس ، المغرب ، اسبانيا وانجلترا...[27] . كشرائه لكميات كبيرة من البارود وأحجار الصوان من المغرب الأقصى واستيراد الكبريت من فرنسا [28].
- الحصول عليها في شكل هدايا ومساعدات.

وتلكم نماذج منها :

*إهداء السلطان مولاي عبد الرحمان للأمير سنة 1833م بمناسبة بيعة الأمير، مائة بندقية بالإضافة إلى السيوف وكميات معتبرة من الذخيرة [29] .

وفي سنة 1838 تلقى أيضا مائة وستين قنطارا من البارود وألف وخمسمائة بندقية انجليزية الصنع وأربعة مدافع [30] .

* أهدت فرنسا للأمير بعد عقد معاهدة "ديميشال" مائة بندقية وألف رطل من البارود [31] . وبعد معاهدة التافنة أرسلت له أسلحة مجوهرة [32] .

◆ ج/ التحصينات :

لم يكتف الأمير بجلب وتوفير الأسلحة ، وإنشاء المصانع للوقوف أمام العدو، بل عمد أيضا إلى تحصين المنطقة .

فبالرغم من أن مليانة منطقة داخلية إلا أن الأمير حاول أن لا تكون معزولة عن الساحل فعمل جاهدا أن يكون لها مرسى بحري بشرشال [33] .

كما انشأ بالقرب من المنطقة معسكرا رئيسيا

بالقرب من موقع أبي خرشفة (بوخرشفة) ليكون نقطة إمداد وتجمع لسكان مليانة [34] .

◄ 3 - مليانة تحت وطأة المستعمر :

◆ أ / استعدادات الماريشال " فالي " [35] :

ظلت منطقة عين الدفلى عامة ومليانة خاصة مستقلة بأكملها ، ولم يتم غزوها من قبل الفرنسيين إلا بعد المعركة المصيرية بواد العلايق التي انهزم فيها المقاومون، فقد سمحت للقوات الفرنسية من إطلاق حملة بقيادة الماريشال ''فالي'' على الجانب الغربي لمتيجة [36] التي سمحت له بدخول مدينة مليانة في 25 ماي 1840م [37] حيث جهز جيشا بلغ عدده 11457 مقاتلا بالإضافة إلى فرق عسكرية(38) توزعت كمايلي :

- قائد الجيش : المارشال فالي .
- رئيس الأركان : الجنرال شرام .
- نائب رئيس الأركان : العقيد داصال يساعده المقدم ''لافاران'' .

◆ ب/ الأمير عبد القادر يواجه الاحتلال الفرنسي لمليانة :

كان الأمير على علم بان **"فالي"** سيتوجه لاحتلال مليانة ، فقام بترك منطقة غابة الزيتون واحتاط للأمر باتخاذ الترتيبات القتالية التالية :

- توزيع خلفائه في المناطق الحساسة [39] .
- محاولة الدفاع عن المنطقة بحرقها : سعى الأمير عبد القادر إلى منع الفرنسيين الاستفادة من مركز مليانة ومن منشاتها العسكرية . فعمل على إجلاء سكانها عنها ونقل جميع العتاد والعدة ثم قام بحرقها [40] .

وبعد تأكده من أن المدينة أصبحت خالية ومهجورة، تنقل إلى ضواحيها ينتظر'' فالي'' لمهاجمتها، وفي نفس الوقت أعاد ترتيب قواته على النحو التالي :

- غرب المدينة : كتيبة مشاة نظامية من ثلاثة مدافع .
- وادي الشلف : القسم الأكبر من فرسانه .
- على المرتفعات : أقسام صغيرة من عناصر القبائل والفرسان .

وبعد مشاداة طويلة[41] بين قوات الماريشال ''فالي'' والأمير عبد القادر استطاع الماريشال من دخول مليانة في 11 جوان من سنة 1840 م [42] بجيش قدره خمسة ألاف فرد في حملة كبيرة عرفت بحملة الربيع [43] . ثم أقام فيها حامية عسكرية كما جرت العادة (حامية في المدية وأخرى في العاصمة...) [44].

لكن الأمير لم يبقى مكتوف الأيدي بل قام بمحاصرة مليانة التي كان يحاول حمايتها العقيد ''ديلنس'' ، فتعرض المعسكر للمجاعة والأوبئة وفُقدت المواد الغذائية من المخازن والمستودعات [45].

ويصف ''تشرشل'' تلك الأوضاع التي عاشها الفرنسيون في مليانة قائلا : »...وخلال شهر اكتوبر من سنة 1840م أوشك معسكر مليانة ان يختفي تحت عدة عوامل مجتمعة وهي المجاعة الحمى والغربة فمن 1500 رجل مات منهم 750 ودخل منهم 500 المستشفى . والباقون الذين أصبحوا هياكل متحركة لا يكادون يمسكون بنادقهم « [46] .

واستمر الوضع في مليانة سوءا بالرغم من الامدادت[47] الموجهة إليها وقيام ''فالي'' شخصيا بتنفيذ إحداها ، إلا أنهم بقوا بحاجة إلى المزيد من الأغذية والأدوية .

◆ ج/ احتلال مليانة من طرف الجنرال بيجو[48] :

ج /1/ مواجهة بيجو للأمير :

تميز هذا الأخير برفضه لفكرة الاستعمار المحدود وطالب توسيعه وسحق كل قوة تعترضه [49] فسعى جاهدا إلى تحقيق مخططاته الاستعمارية بشتى الطرق والأساليب منها سياسة الأرض المحروقة، فقد كان يقول :«**لن تحرثوا الأرض ، فإذا حرثتموها فلن تزرعوها فإذا زرعتموها لن تحصدوها**» [50] .

وما كان يقلقه أكثر هي مقاومة الأمير عبد القادر التي أضحت تنتشر شيئا فشيئا في مختلف أرجاء الوطن . وكانت له الرغبة في الانتقام من هزيمة التافنة .

وما كان أمام السلطات الفرنسية إلا تدعيمه بالعدة والعتاد، فوصلت قوات بيجو إلى 85.000 عسكري للقضاء على مقاومة الأمير [51] . فتكاثرت العمليات العسكرية وتعددت بعد تسلمه الحكم في الجزائر بتاريخ 22 فيفري 1841م [52] .

ج/2/ الفوز يحالف "بيجو" ومدن الأمير تسقط الواحدة تلوى الأخرى منها مليانة :

انطلق "**بيجو**" في حملة ضخمة من البليدة عبر منطقة أولاد بني سونا إلى مرتفعات غنطاس وعين السلطان وفي طريقها مُونت حامية المدية وصولا إلى مليانة في 1 ماي سنة 1841م [53]، عرفت هذه الحملة "**بحملة الربيع**" ، تعداد جيشها 73 ألف جندي وثلاثة عشرة ألف وخمسمائة حصان[54] .

وكان الأمير قد أعد هو الآخر فرقه العسكرية للانقضاض على قوات "**بيجو**" أثناء الرجوع من مليانة . فشكل قرب المدينة فرقة من جيشه النظامي وأخرى في الغابة قريبة من الفرقة الأولى .

خرج جيش "**بيجو**" من المدينة بتاريخ 2 و5 ماي من نفس السنة قام الأمير باعتراضه واللحاق به إلى الغابة. حيث خرج من الكمين الذي نصبه الأمير هناك ، أما الأمير فهاجمهم من الخلف بمعية فرقته الأخرى التي نصبها بالقرب من المدينة .

وبهذا تمكنت قوات الأمير النظامية والشعبية من التصدي لهذا الهجوم و إلحاق هزيمة نكراء بالجنرال "**بيجو**" وعساكره وقد وصف "**رُوا**" وهو أحد قادة الجنرال "**بيجو**" هذه الواقعة فقال: « **وهذه أول هزيمة وقعت بالماريشال "بيجو" منذ ولايته على الجزائر ورئاسته على العساكر الفرنساوية ولأول تفويضه في امر الحرب مع الامير عبد القادر ، ثم قال : " ولما هجم لامير بالقسم الكبير من جيشه الذي كان معه على المارشال، انبهر عقله ولم يسعه الا الفرار** [55] ».

بدأت العمليات العسكرية " **لبيجو**" من جديد في **حملة "الربيع"** بعد الانتهاء من تموين مركز العاصمة وحاميتي المدية ومليانة . فاصدر أوامر وتعليمات لاحتلال مدن ومقاطعات نفوذ الأمير (وهران معسكر ومستغانم) . ومعه ضباط ينفذون أوامره أمثال (**سانت ارنو ، كافينياك ، ديمونتنياك**...) وقد رد "**بيجو**" على الصحافة الفرنسية التي لامته على تلك الجرائم قائلا : »**لقد دمرنا كثيرا ، وقد يصفني البعض بأنني بربري متوحش، ولكن أضع نفسي فوق اتهامات الصحافة حينما اشعر أنني قمت بعمل مفيد لبلدي** « [56] .

وفي خريف سنة 1841م وبالضبط في 21 من شهر سبتمبر خرجت قوات "**بيجو**" من مستغانم إلى الشلف ثم إلى جبال سيدي يحيى وقامت قواته بأسر حوالي 329 من الأهالي المقاومين [57] .

لكن ما إن انسحب الفرنسيون نحو مكان انطلاقهم من البحر المتوسط ، حتى دخل الأمير

معسكر واجتاز سهل الشلف ووصل إلى جنوب مليانة ، وهناك اتخذ إجراءات صارمة اتجاه القبائل التي انضمت إلى "**بيجو**" . لكن مع وصول القوات الفرنسية سارع الأمير إلى الفرار والتفرق متجها إلى الصحراء بعاصمته المتنقلة "**الزمالة**" [58] مقتنعا بإمكانية العودة واستعادة سلطانه [59] .

خاتمـــــــــــــــة :

بعد العرض المختصر لدور منطقة مليانة في مقاومة الأمير عبد القادر استطعنا الوصول إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

- اتخذ الأمير من منطقة مليانة حصنا منيعا لمقاومته .

- شخصية الخليفة " بن علال " المتميزة بالأخلاق والصدق اتجاه الأمير ساعدانه كثيرا في تأخير احتلال المنطقة من طرف العدو .

- استطاع الأمير أن يحقق نهضة أن صح التعبير في مليانة، بانجازاته المختلفة خاصة العسكرية منها .

- اقلق توسع الأمير عبد القادر على مليانة المسئولين الفرنسيين ، والأكثر من ذلك هو تهديده لقطع العلاقات معهم خاصة وان حدود دولته أصبحت قريبة من العاصمة الجزائرية .

- وجدنا أن الشيء الذي افشل إمدادات العدو لمعسكر مليانة من جهة ، وما كان يقلق المسؤولين الفرنسيين وقوافلهم من جهة أخرى . هو تتبع الأمير لوحداتهم ومراقبته لهم في جميع مراحل سيرها .

- قدرة فرنسا في احتلالها لمدن الأمير وعلى رأسها مليانة إلى الفارق الكبير في القوات والتسلح بين الطرفين .

- كان لاستشهاد الخليفة "**محمد بن علال**" وقع كبير في نفس الأمير، فنستطيع القول أن رحيل هذه الشخصية من المنطقة هي التي سهلت وفتحت الباب أمام الجنرال" **بيجو**" للسيطرة على مليانة .

- كانت سنة 1841م بحملتيها (الخريف والربيع) الخطوة الأولى من خطرات "**بيجو**" القتالية . نتج عنها تضييق الخناق على الأمير.

- يعود ضعف وفشل الأمير في المقاومة والتصدي للعدو إلى محاولة فصله عن الشعب بوسائل القهر والإرهاب وعزله عن الخارج بعد أن سدت فرنسا في وجهة منافذ البحر وأغلقت في وجهه الحدود الشرقية والغربية .

ملحق رقم 1 :

نفوذ الامير في الفترة الممتدة ما بين (1832 – 1837 م) - قبل معاهدة- التافنة	
الخليفـــة	الاقليم
محمد البوحميدي الولهاصي على تلمسان / بن فريحة المهاجي على معسكر	الغرب (تلمسان ومعسكر)
الشيخ محي الدين بن المبارك ثم محمد بن علال	**مليانة** (شرشال والتنس)
مصطفى بن محي الدين ثم محمد البركاني	المدية (التيطري)
نفوذه بعد معاهدة التافنة	
احمد الطيب بن سالم	برج حمزة (جرجرة – البويرة-)
محمد بن عبد السلام ثم خلفه محمد بن الخروبي ومن بعده محمد بن عمر العيساوي	مجانة (سطيف)
فرحات بن سعيد ثم السيد حسين بن عزوز ثم محمد الصغير بن عبد الرحمان بن احمدبن الحاج	بسكرة والصحراء الشرقية
قدور بن عبد الباقي	الصحراء الغربية

تم رصد الجدول انطلاقا من :

- الجزائري، مصدر سابق ، ص ص 357 ، 358 .
- سعد الله، مرجع سابق ، ص ص 196، 197 .
- مياسي ، مرجع سابق ، ص 24.

الهوامش :

– تاريخ المدن الثلاث الجزائر المدية وملیانة ، تحقیق وتعلیق عبد الرحمان الجیلالي ، ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2007م ، ط1 ، ص 389 .

2 SHAW, VOYAGE DANS LA RÉGENCE D'ALGER, Traduit par J. MAC CARTHY, PARIS, 1830, p p 282-284.

3 – تاريخ المدن ....، مرجع سابق ، ص 288.

4 – هو عبد القادر ناصر الدين الابن الرابع لعبد القادر محي الدين ولد في شهر ماي سنة 1807م في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة اغريس غرب معسكر .

لمعلومات اكثر حول هذه الشخصية انظر :

– شارل هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم لم وعلق عليه ابو القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، بدون تاريخ النشر، ص ص 39- 43 .

– سعيد بورنان ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962م) ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2 ، 2004م ، ص ص 61 – 94 .

NARCISSE FAUCON, LIVRE D'OR DE L'ALGÉRIE, Préface de M. le Colonel TRUMELET, CHALLAMEL ET Cie ÉDITEURS, PARIS, 1889, T1 , p p 1-3 .

5 – هي معاهدة وقعت بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو بالقرب من وادي التافنة بتلمسان يوم 30 ماي 1837م ، تحددت من خلالها مناطق سلطة الأمير باعتراف فرنسي حيث احتفظت بالمدن الساحلية (مستغانم ، ارزيو ووهران) واعترفت للأمير على باقي المناطق . وقد استغلها الأمير في توطيد دعائم دولته .

وقد فضل القائد الفرنسي ''بيجو'' مهادنة الأمير رغم تفوقه العسكري لتحقيق الأغراض التالية :

- إعداد فرق خاصة بحرب الجبال والصحراء .
- التفرغ للقضاء على احمد باي في الشرق الجزائري
- فك الحصار على المراكز الفرنسية .
- انتظار وصول التموينات والإمدادات العسكرية من فرنسا .

انظر : إبراهيم مياسي ، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012م ، ص ص 19 ، 20 . / بورنان ، مرجع سابق ، ص ص 65 ، 66 .

6 – انظر الملحق رقم1 ، ص 12.

7 – منح الأمير سلطات واسعة للخليفة مثل :

*جمع الضرائب * إقامة الحدود * إجراء القضاء بين الناس *حماية الأمن والمواطنين ومحاربة

وكان الخلفاء هم الذين ينقلون تعليمات وأوامر الأمير إلى الأغوات ، وهؤلاء إلى القياد وهؤلاء إلى شيوخ القبائل وهكذا . وكان الأغوات و القياد يعينون من قبل الخليفة لمدة سنة قابلة للتجديد . أما القياد فيعينون عادة من قبل الأغوات ولكن إذا كانوا على قبائل كبيرة فتعيينهم يأتي من الخليفة نفسه. أما الشيوخ فمنصبهم انتخابي حيث تنتخبهم قرقتهم أو قسمتهم(دوارهم) بدون تدخل الدولة .

وكان الأمير يحلفهم على صحيح البخاري قبل البدء في مهامهم ، وكانوا مناديه في غالب الأوقات ينادي في الأسواق : » إن من له شكوى على الخليفة أو أغا أو قائد أو شيخ فليرفعها إلى الديوان الأميري من غير واسطة فان الأمير ينصفه من ظالمه . وان ظلم احد ولم يرفع ظلمته فلا يلمنّ الاّ نفسه . «

انظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (

1830-1900) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م ، ج1 ، ص 196 .

انظر أيضا: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، منشورات ثالة ، الجزائر، 2007م ، ج1 ، ص 359 .

8 – هو الجنرال الفرنسي الذي كان يمثل بلاده ويحارب الأمير في الإقليم الغربي . اعترفت المعاهدة بسلطة الأمير على المدية ، مليانة وتلمسان . بالإضافة إلى حصوله على حق التمثيل الدبلوماسي .

9 – أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري(1808-1847م) ، ط2 ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر، 2004/2005م ، ج1 ، ص ص 149 ، 150 .

10 – هو من المرابطين ، له مكانة وسمعة طيبة بين سكان متيجة . وهو من زاوية عريقة من القليعة . عينه الجنرال ''بريتزين'' قائد العرب على رأس قبائل متيجة . قبل الشيخ بهذه الوظيفة ورأى فيها مصلحة لإبعاد العدو والمحافظة على مصالح المنطقة وأهلها .

أنظر: سعد الله ، مرجع سابق ، ص 122 .

11 – وجدناه أحيانا يكتب زعوم وأحيانا أخرى زعمون .

ولمعلومات أكثر حول أصل ابن زعموم وقبيلته .انظر:

N.Robin , « **OULAD BEN ZAMOUM** » , **R.V**,1875,N19, p p 32.49-

12 – هو من عائلة متدينة ثرية ، لها زاوية قرب سيدي عبد الرحمان الثعالبي .كانت له علاقات مع الكثير من رجال الدين مثل سيدي علي بن موسى (مرابط معاتقة بتيزي وزو) . أدى فريضة الحج سنة 1827 م ، بقي مدة عامين في المشرق وأثناء عودته زار مدينة ليفورنا الايطالية والتقى بالداي حسين بمنفاه .عينه الأمير عبد القادر بعد انضمامه إليه خليفة عنه في المنطقة الممتدة من سهل متيجة إلى مناطق الشرق الجزائري التي لم تكن خاضعة لأحمد باي (قسنطينة) .

انظر: سعد الله ، مرجع سابق ، ص ص 123، 127 . و ص 124 هامش 29 . / انظر أيضا ترجمة لهذه الشخصية :

E.Pellissier,Annales Algeriennes,Philipp libraire,Alger,1836.T1,p 218.

13 – هو ابن أخ الحاج محي الدين بن مبارك ، من عائلة سيدي مبارك وهي عائلة كبيرة من الأولياء الصالحين (المرابطين) في القليعة . يدعوه الفرنسيون ''سيدي مبارك'' ويعدّ من أفضل خلفاء الأمير ثباتة وشجاعة . ويقول عنه الأمير شخصيا هو الوحيد مع الخليفة البوحميدي اللذان لم يغشانه وحافظا على النظام الذي اقره إلى آخر لحظة . حارب الفرنسيين بعد طرده من المدية إلى أن توفي سنة 1843م .

انظر: سعد الله ، مرجع سابق ، ص 131 ، هامش 36 . و ص 142 . / بسام العسلي ، الأمير عبد القادر ، ط3 ، دار النفائس ، بيروت، 1986م ، ص 55 .

انظر أيضا : شارل أندري جوليان ، تاريخ الجزائر المعاصرة – الغزو وبدايات الاستعمار 1827 – 1871 م – ، شركة دار الأمة للطباعة . والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 م ، مجلد 1 ، ص 316 .

14 – تجدر الإشارة هنا أن الأمير في هذه السنة فقد خليفتين آخرين بالإضافة إلى ابن علال وهما ''البركاني خليفة التيطري'' والحاج سيدي السعدي خليفته على منطقة القبائل '' .

سعد الله ، مرجع سابق ، ص 280 .

15 – حدث للأمير أكثر من مرة أن قاتلت إلى جانبه بعض القبائل ثم انسحبت .

انظر : عبد القادر دحدوح ، استحكامات الأمير عبد

القادر ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2008م ، ص 23 .

16 – نفسه .

17 – للاطلاع على شروط الانضمام إلى الجيش النظامي .

انظر : نفسه ، ص 24 .

18 – نفسه ، ص 27 .

19 – نقلا عن : حرب، مرجع سابق، ج2 ، ص 99 .

20 – ناصر الدين سعيدوني ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000م ، ص 218 .

21 – Georges Yver , Lettres de Ben Allal au Mréchal Valée , R.A , N° 58, 1914 , p 15 .

22 – تشرشل، مرجع سابق ، ص 139 .

23 – دحدوح ، مرجع سابق ، ص 44 .

24 – العسلي ، مرجع سابق ، ص 46 .

25 – سعيدوني ، مرجع سابق، ص 217 .

26 – العسلي ، مرجع سابق ، ص 45 .

27 – نفسه / مياسي ، مرجع سابق ، ص 28 .

28 – العسلي ، مرجع سابق ، ص 46 .

29 – إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1984م، ص 252 .

30 – دحدوح ، مرجع سابق ، ص 42 .

31 – العربي ، مرجع سابق ، ص 55 .

32 – دحدوح ، مرجع سابق ، ص 42 .

33 – الجزائري ، مصدر سابق ، ص 358 .

للإشارة هنا ان شرشال جعلها الأمير تابعة لخليفته " ابن علال" بمليانة ، وكان على رأسها الشيخ محمد السعيد بن عودة ، ولكن نظرا لعدم وضوح موقفه الذي كان

متارجحا بين الخوف من فرنسا وولاءه للأمير . عزله "ابن علال" وعين مكانه قائد جديد من بني مناصر وهو احمد بن بلقاسم .

انظر : سعد الله ، مرجع سابق ، ص ص 131 ، 132.

34 – سعيدوني ، مرجع سابق ، ص 217 .

35 – حكم الجزائر في الفترة الممتدة ما بين (1837 – 1841 م) ، تميز عهده بقسمين :

الأول : يمكن تسميته عهد الهدنة (1837 – 1839 م) كان يحاول في هذه الفترة توسيع نفوذه في الشرق وتعديل معاهدة التافنة التي أضحت شروطها تقلقه .

أما الجزء الثاني من عهده (1839 – 1841 م) فقد تميز بالحرب الشاملة ضد الأمير من جهة والمقاومة الوطنية من جهة أخرى .

انظر : سعد الله ، مرجع سابق ، ص ص 195 ، 196 .

36 – لمعلومات أكثر حول مقاومة متيجة انظر : سعد الله ، مرجع سابق ، ص 31 وما بعدها ./ مياسي ، مرجع سابق ، ص ص 35 – 47 .

Pellissier, Op.cit. انظر أيضا :

37 – في هذه الفترة أطلق المارشال "فالي" حملات أخرى عبر شرشال ، موزاية، العفرون، وادي جر وبومدفع .

انظر : محمد الشريف ولد الحسين ، من المقاومة الى الحرب من اجل الاستقلال (1830 – 1962) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، بدون تاريخ النشر ، ص 33 .

38 – لمعلومات أكثر حول الوحدات الفرنسية المتوجهة إلى مليانة انظر :

حرب مرجع سابق، ج2، ص ص 314 ، 315 .

انظر ايضا : Pellissier, Op.cit ,p p 390 ,

.391

39 – حاول الأمير بقدر الإمكان نشر قواته من مختلف أنحاء الوطن حتى يتمكن من تضييق الخناق على القوات الفرنسية ، وقد وزعها على النحو التالي :

ابن سالم – خليفته في سيباو– : احتل شرقي مدينة الجزائر واخذ يهدد القوات الفرنسية في جوار العاصمة .

البركاني – خليفته في المدية– : كلف بمراقبة سكان هذه المدينة ومنعهم من العودة إليها .

ابن التهامي – خليفته في معسكر – : احتل جسر القنطرة على الشلف بهدف تأخير الزحف الفرنسي ما أمكن .

ابن علال – خليفته في مليانة – : أمر بالدفاع عن هذه المدينة مهما كلف ذلك من ثمن . انظر :

ARSÈNE BERTEUIL, L'ALGÉRIE FRANÇAISE, DENTU, LIBRAIRE-ÉDITEUR , PARIS, 1856, T 2 , p p 131 , 132 .

40 - Azan, Note 1 , p 166 .

41 – يصف الأمير شجاعة محاربي جيشه في قوله : » اظهر المسلمون من الشجاعة والإقدام ما أذهل عقول الفرنسيين وغيبهم عن أنفسهم حتى كان بعضهم يضرب بعضا وهم لا يشعرون . ولما كان القدر الإلهي مساعدا لهم ، اقتحموا هذه الشدائد وتخلّصوا إلى المدينة . «

انظر : الجزائري ، مصدر سابق ، ص 433 .

42 – لمعلومات أكثر حول زحف الماريشال ''فالي'' إلى مليانة انظر:

– Berteuil, Op. Cit , p p 132-134.

– حرب ، مرجع سابق ، ج2 ، ص ص 316– 321

43 – اثر انتهاء حملة الربيع باحتلال مدينة مليانة ، أرسل الماريشال'' فالي'' تقريرا إلى حكومته يعلن فيها نجاح مهمته وتحقيق الأهداف المرجوة . أضاف في تقريره بأنه سيبدأ حملة الخريف التي ستنطلق في أوائل شهر أوت ، هذه الحملة التي كان يعتقد بأنها هي التي ستُرسخ الوجود الفرنسي بالجزائر بصورة نهائية .

انظر : حرب ، مرجع سابق ، ج2، ص 322 .

44 – الجزائري ، مصدر سابق ، ص 434.

45 – حرب ، مرجع سابق ، ج2، ص 326 .

46 – تشرشل ، مرجع سابق ، ص 189.

47 – أرسل ''فالي'' العديد من الإمدادات إلى معسكر مليانة بقيادة العميدين بيدو وكورت والعقيد كافينياك بمهمات تموينية عديدة .

لمعلومات أكثر انظر:

حرب ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 327 .

48 – ولد في ليموج سنة 1784م ، قضى طفولته وشبابه بمدينة ''لادورنتي'' قرب ايكسيداي. كان ينتمي إلى عائلة ميسورة الحال من نبلاء الريف تمتهن حرفة الحدادة، ثم تقلصت ثروتها من جراء الثورة الفرنسية .

عاش حياة مزارع بسيط ، عارفا بشؤون الأرض التي تجعل الفلاح منسجما مع الطبيعة . إن الحياة الطليقة للصياد ساعدت على تنمية شخصيته القوية . كان عصاميا ويقال عنه انه لا يفقه في القضايا المعقدة ، وكان يكره المثقفين ويغار منهم .

تولى الحكم في الجزائر في الفترة الممتدة ما بين (1841 – 1847 م) . وقد عبر سعد الله عن أعماله الإجرامية والإرهابية في عبارة قصيرة محتواها: » إن عهده تميز بكل ما هو ممقوت في الاستعمار الحديث.« .

انظر: المرجع السابق ، ص 195.

ولتفاصيل أكثر حول شخصية ''بيجو'' من جميع الجوانب : (الاجتماعية ، المهنية ، العسكرية....)

انظر: جوليان ، مرجع سابق، ص ص 284 – 305 .

وأيضا انظر : سعد الله ، مرجع سابق ، ص ص 216

– 220.

49 – تشرشل ، مرجع سابق ، ص 191.

50 – ولد الحسين، مرجع سابق ، ص 8 .

51 – نفسه ، ص 192 .

52 – Berteuil, Op. Cit , p 137.

53 – حرب ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 400 .

54 – Berteuil, Op. Cit , p 137.

55 – الجزائري ، مصدر سابق ، ص 461 .

56 – بورنان ، مرجع سابق ، ص 67 ، هامش 2

57 – نفسه ص 405 .

58 – فكرة فريدة من نوعها ابتدعها الأمير، أنشأها بعد سقوط معظم مدنه .وجعلها متنقلة حسب ما تقتضيه ظروف الحرب لتفادي المشادة مع العدو وهي عبارة عن مجمع من الخيم تحتوي على مختلف المرافق العامة (المخزن ، المحكمة ، المستشفى ، المسجد ، المدرسة ...) .

ويصفها تشرشل في قوله : »تعتبر مأمنا وملجأ مشتركا ،لأشيائهم الثمينة وقطعان ماشيتهم ونساءهم وأطفالهم ، شيوخهم وعجزتهم . وبذلك اصبحت الزمالة عبارة عن عاصمة ضخمة متنقلة تقدر بأكثر من 20.000 نسمة « .

سعى العدو جاهدا للتعرف على مكانها ، وتقديم هدايا وأموال طائلة لمن يدلهم عليها . وقد دلهم عن مكانها احد الخونة وهو ”عمر بن فراح العيادي “ بمنطقة عين طاقين بجبال عمور . فاستطاع ابن الملك الدوق دوما أن يفاجئها يوم 16 ماي 1843م . ويقال أن الأمير في ذلك الوقت كان غائبا عنها .

فقد الأمير في هذه الحادثة خزينته وكتبه ووثائقه(حوالي 5.00 كتاب من مجلدات وأمهات الكتب) إضافة إلى الذخائر والمئونة والحيوانات وحوالي 3.000 شخص بين قتلى وأسرى .

وتذكر الكتب التاريخية صبر وشجاعة الأمير بعد الفاجعة التي حلت به وبأهله حيث راح يهون من مصاب أهله وصحبه وهدا من اضطرابهم وأسفهم : » سبحان الله كل شيء كنا نحبه وتعلقت أفكارنا به كان يعوق حركتنا ويقف في صدورنا عن الوصول إلى مطلوبنا . والآن صرنا أحرارا متجردين لا شغل لنا إلا مقارعة الأعداء ومصارعتهم. «.

انظر : بورنان ، مرجع سابق ، ص 68 ، هامش 1 ./ تشرشل ، مرجع سابق ، ص ص 198 ، 199 . / بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 67 .

59 – حرب ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 405 .

ثبت المصادر والمراجع – البيبليوغرافيا – : – وهي مرتبة ترتيبا هجائيا دون مراعاة الألف واللام –

أ/ بالعربية :

– بن عبد القادر الجزائري محمد ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، منشورات ثالة ، الجزائر، 2007م ، ج1.

– بوعزيز يحي ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، ط2 ، مطابع دار الفكر ، دمشق ، 1964م .

– بورنان سعيد ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830– 1962م) ، ط2 ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو ، 2004م .

– تاريخ المدن الثلاث الجزائر المدية ومليانة ، ط1 ، تحقيق وتعيق عبد الرحمان الجيلالي ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2007م ، ص 389 .

– جوليان شارل اندري ، تاريخ الجزائر المعاصرة – الغزو وبدايات الاستعمار 1827 – 1871 م – ، شركة دار الأمة للطباعة . والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 م ، مجلد 1 .

– حرب أديب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري(1808–1847م) ، ط2 ، دار

الرائد للكتاب ، الجزائر، 2004/2005م ، الجزءان 1 و 2 .

– دحدوح عبد القادر ، استحكامات الأمير عبد القادر ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2008م .

– سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م ، ج1 .

– العربي إسماعيل ، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1984م.

– العسلي بسام ، الأمير عبد القادر ، ط3 ، دار النفائس ، بيروت، 1986م.

– مياسي إبراهيم ، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012م.

– هنري تشرشل شارل ، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمه وقدم لم وعلق عليه ابو القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، بدون تاريخ النشر .

– ولد الحسين محمد الشريف ، من المقاومة إلى الحرب من اجل الاستقلال (1830 – 1962) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، بدون تاريخ النشر .

ب / بالفرنسية :

-.BERTEUILARSÈNE,L'ALGÉRIE FRANÇAISE, DENTU LIBRAIRE-ÉDITEUR , PARIS, 1856, T 2.

- FAUCON NARCISSE, LIVRE D'OR DE L'ALGÉRIE, Préface de M. le Colonel TRUMELET, CHALLAMEL ET Cie ÉDITEURS, PARIS, 1889, T1 .

- Georges Yver , « Lettres de Ben Allal au Mréchal Valée » , R.A , N° 58, 1914

- Pellissier. E , Annales Algeriennes, Philipp libraire,Alger,1836.T1 .

- Robin. N , « OULAD BEN ZAMOUM » , R.V,1875,N19 .

- SHAW, VOYAGE DANS LA RÉGENCE D'ALGER, Traduit par J. MAC CARTHY, PARIS, 1830